ألفاظ المؤنثات السماعية عند الشيخ محمد الخال وابن الحاجب الكردي

دراسة (تحليلية مقارنة)

ديار عبد الله محمد أمين

طالب دكتورا بجامعة السليمانية/ كلية العلوم الإسلامية/ قسم الشريعة

dyaryabdulla97@gmail.com

أ.د. عبد المنعم محمد أكريكر

جامعة الحسن الثاني/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية عينالشق/ قسم الدراسات الإسلامية

abdelmounaim8@gmail.com

م.د. محمد أحمد مصطفى

كلية گۆيژه الجامعة/ قسم القانون

mohammad.mustafa@uog.edu.iq

تاريخ استلام البحث : ٢٠٢٤/٩/١٥ تاريخ نشر البحث : ٢٠٢٥/٣/٩

ملخص البحث:

الشعب الكردي منذ أشرق بشمس الإسلام، وأضاء بنور القرآن واستنار بشرائع الدين ، أخرج للناس أجمعين من نفع العلم وأهله، وانتفع بهم من هم بالأرض مشرقها ومغربها، لا سيما في علوم الوسائل والاجتهاد، ومنها علوم اللغة بشتى فنونها نحوا وصرفا ومعجما واشتقاقا وسماعا وقياسا، وغير ذلك، وقد رأى علماؤنا أن التمكن من اللغة هو المدخل الوحيد إلى فهم الشريعة والاستضاءة بأنوارها، وإن من علماء الكرد المبرزين الذين خدموا اللغة من المتأخرين الشيخ محمد الخال أعجوبة عصره في نوادر بحوثه اللغوية، ومنها بحثه في المؤنثات السماعية، فقد رأى أن قضية المؤنثات السماعية تحتاج إلى مزيد بحث وتنقيب واستقراء وتقليب، وأن ضبطها كثير النفع على اللغة وأصولها، فإن السماع أصل القياس، وهو المنشئ للفروع الكثيرة على الأصول السماعية، مما يترتب عليه توسيع مدارك اللغة، والتصويب لما يظن فيه الخطأ، والتخطئة لما يظن فيه الصواب، كما رأى الشيخ الخال أن جهود السابقين، وإن كانت حسنة في بابها، فإنها تحتاج إلى زيادة جمع، وتعقب واستدراك، وتقوية وترجيح فلهذا ألف وجمع رسالة لطيفة فريدة نافعة في مسألة المؤنثات السماعية. وكان قد سبقه إلى هذا الفن عالم كردي آخر فاقت شهرته الآفاق وهو الشيخ جمال الدين ابن الحاجب؛ صاحب المؤلفات اللغوية المتميزة التي تعتبر عمدة في البحث اللغوي في زمانه وما بعده إلى الآن، وكان قد جمع في نفس الموضوع أعني المؤنثات السماعية، فاقتضى منا البحث النظر فيما فعله العلامة ابن الحاجب، وبين ما جمعه الشيخ محمد الخال من خلال الدراسة الاستقرائية المقارنة من أجل الوقوف على أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف، وأثر فعلهما على الأصول السماعية في باب المؤنثات اللفظية.

الكلمات المفتاحية: المؤنث السماعي، ابن الحاجب، الخال، الكردي، التأنيث.

المقدمة

الحمد لله جاعل السماء سقفا مرفوعا دون أوتاد وزينها نجوما إلى يوم التناد، وصلى الله على خير وأفصح ناطق بالضاد وعلى آله وصحبه الأشداء الأجلاء الأشهاد صلى الله عليه ملء سبعة أبحر مالها من نفاد وبعد...

فإن من اللغات الساميات لغة العربية التي أنزل بها السبع المثاني والقرآن العظيم من فوق السماوات العلا، وإن من سمو هذه اللغة تراكيبها ونظمها ومعانيها، ولا تسمو التراكيب والجمل إلا بسمو المفردات وأقسامها باعتباراتها المختلفة، التي منها التذكير والتأنيث، وإن من مباحث المفردات بالاعتبار السابق ما يعرف بالمؤنثات السماعيات أي التي جرت على جهة النقل عن أرباب اللسان، وإن كان للنظر العقلي المجرد وجهة أخرى، قياسا على أصول قريبة منها أو تندو إليها؛ ونظرا لأهمية الموضوع، ومحافظة على خصيصة السماع والنقل التي هي اصل اللغة ومقدمها، وعناية بتقويم اللسان عن اللحن أفرد العلماء هذا الباب بالتأليف والتصنيف- أعني المؤنثات السماعية - أو خصوه بباب من أبواب التأليف، والشيخ محمد الخال من متأخري نبلاء ونجباء علماء الكرد بلغ شأوا كبيرا في العناية بالعلوم الشرعية ، مستفيدا من جهود السابقين المتقدمين وكذا اللاحقين المتأخرين؛ بل زاد على ذلك بأن أبدع وأفاد وأجاد في ترتيبه وجمعه و تعقيبه وتعقبه على جهودهم؛ في تأليف لطيف وجهد منيف سماه (المؤنثات السماعية) فكان هذا البحث محاولة لجمع جهود الشيخ محمد الخال بجهود من سبقه وبالأخص الشيخ ابن الحاجب في تحقيق الألفاظ المؤنثة التي جرى السماع بها عن العرب الفصحاء.

أسئلة البحث:

ماهي الإسهامات التي قام بها علمان بارزان من علماء الكرد في مجال دقيق في اللغة ألا وهي المؤنثات السماعية؟

ماهي المناهج والأساليب المتبعة لدى الشيخين ابن الحاجب والخال في الترجيح ومزايا كل منهما؟

أهداف البحث:

بيان أهمية دور الشيخين ومدى دقتهما في هذا الموضوع وأهمية الجهد الذي قام به كل من الشيخين.

إبراز المنهج والأسلوب المتبع لدى الشيخين مع مزايا كل منهما، مع ذكر تفرد والاختلاف في التعامل مع مفردات المؤنثات السماعيات.

منهج البحث:

اتبعنا في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي، وذلك بتتبع ما نقل عن الشيخين من المؤنثات السماعية، ثم المنهج المقارن لمقابلة جهدهما وبيان أثره في حفظ اللغة العربية من حيث العناية بالمسموع والاحتكام إليه، واعتباره مقدما على غيره فصاحة وقياسا.

المبحث الأول: التعريف بالمؤلِفَين والمؤلَفَين وبيان منهجهما ومصادرهما:

المطلب الأول: التعريف بالمؤلفين:

الفرع الأول: التعريف بابن الحاجب وكتابه:

يحتار الباحث في ترجمة علم وأحد أساطين علوم النحو والصرف والفقه وأصوله بماذا وكيف يبدأ سيما من أثر وأسس فيمن بعده وجمع وقيد علوم من قبله ولا يسعنا في هذه العجالة وفي هذا المقام إلا الإلمام بصورة موجزة بهذا العلم وهو الشيخ الإمام العلامة المقرئ الأصولي الفقيه النحوي جمال الأئمة والملة والدين أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الكردي الدويني الأصل الإسنائي المولد المالكي، ولد سنة 570 هـ، وحفظ القرآن، وأخذ بعض القرآءات عن الشاطبي وسمع منه كتابه (التيسير). (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ابن خلكان ،د.ت، ج3، ص 248)، (سير أعلام النبلاء: الذهبي، ١٩٨٥ م، ج 23، ص264).

وأخذ العلم عن أعلام عصره: أمثال أبي القاسم البوصيري، وإسماعيل بن ياسين، وبهاء الدين القاسم ابن عساكر، وفاطمة بنت سعد الخير، وطائفة، وأبي المنصور الأبياري، وغيره. (الذهبي، 1985م، ج 23، ص264).

صفاته: من اشتهر وكتب الله له القبول بين أقرانه ومن بعده في الاستفادة من تصانيفه لابد من وجود صفات جميلة جليلة ووصف الشيخ بأنه " كان من أذكياء العالم، رأسا في العربية وعلم النظر" و " فقيه، مفت، مناظر، مبرز في عدة علوم، متبحر، مع دين وورع وتواضع واحتمال واطراح للتكلف". (الذهبي، 1985م، ج 23، ص265-266).

وفاته: فبعد ترحال بين المدن للإقراء والتدريس وبعد نزوحه من دمشق ثم مكوثه بالقاهرة وارتحاله إلى الإسكندرية مالبث فيها طويلا إلى أن توفي في السادس والعشرين من شهر شوال سنة 646 من الهجرة، رحمه الله. (ابن خلكان، د.ت، ج 3، ص250)، (الذهبي، 1985م، ج 23، ص266).

كتبه: سبقت الإشارة والإشادة بالشيخ ونبوغه من خلال القبول الذي حظيت بها مؤلفاته، فمؤلفاته جزيلة الفوائد جامعة للشرائد منها مثل النبع الجاري، فمن مؤلفاته على سبيل المثال لا الحصر: جامع بين الأمهات، كافية ذوي الأرب في معرفة كلام العرب أو الكافية الحاجبية، الشافية، منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل، الإيضاح في شرح المفصل للزمخشري، لقصيدة الموشحة بالأسماء المؤنثة... وغيرها.

وأما مايخص نظمه في المؤنثات السماعية الذي نحن بصدده:

فهذا النظم أورده ميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري ونسبه إلى ابن الحاجب، ونسبه إليه أيضا مع ذكر مخطوطاته بروكلمان في تاريخه. (روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات: الخوانساري الإصبهاني، 2011م، ج5، ص 186- 187)،)تاريخ الأدب العربي Geschichte der arabischen Litteratur: كارل بروكلمانCarl Brockelmann، د.ت، ج 5، ص234(، هذا وأن بعض نسخ النظم قريبة من عهد الناظم وفيها التصريح باسمه.

والنظم يقع في ثلاثة وعشرين بيتا من البحر الكامل، وطبع أكثر من مرة ملحقا بكتب أخرى ومستقلة، ويقرب أن يكون استجابة لطلب من أحباء الناظم في نظم بهذا الباب في اللغة حيث ابتدأ النظم بقوله:

نفسي الفداء لسائل وأفاني بمسائل فاحت كروض جنان

ثم مهد لموضوع النظم بعد هذا البيت بقوله:

أسماء تأنيث بغير علامة هي يافتى في عرفهم ضربان

ثم بين موضوع المادة بأن منها ما لايذكر وما يجوز فيه التذكير والتأنيث:

قد كان فيها مايؤنث ثم ما هو فيه خير باختلاف المعاني

(القصيدة الموشحة بالأسماء المؤنثة السماعية: ابن الحاجب ، 1985م، ص 39).

الفرع الثاني: التعريف بالشيخ محمد الخال وكتابه:

لاشك أن الحديث عن حياة أيّ شخصية يتطلب معرفة وتصور بيئته والظروف التي نشأ فيها؛ لأن الإنسان ابن وقته ويكون متأثرا ببيئته، والعصر الذي عاشه الشيخ الخال بدءاً من ولادته إلى وفاته قد اشتمل على تغيرات سياسية وثقافية واقتصادية، فقد عاش الشيخ الخال نهاية الخلافة العثمانية ومرحلة العصر الملكي ثم الجمهوري بكافة عقباتها ومشاكلها وتغيراتها من الحربين العالميتين الأولى والثانية وظهور حركات كردية تحررية ومجاعة وحروب وثورات وغير ذلك، فكل هذه الحوادث أثرت في الشيخ الخال سياسيا واقتصاديا وثقافيا. (العنبي، 2004م، ص 19-38).

التعريف بالشيخ محمد الخال: هو محمد بن الشيخ علي بن الشيخ أمين بن الشيخ محمد الخال ينتهي نسبه إلى پير خضر الشاهويي ومنه إلى الإمام حسين بن أبي طالب (رضي الله عنهم)، ولقبه الخال نسبة إلى جده الأعلى الشيخ محمد الخال، ولد في سنة (1904م) في مدينة السليمانية، ولما بلغ عمره تسع سنوات توفي والده، وتولّى تربيته وتعليمه جده. (الخال،محمد، ج2، ص299-300، العنبي،2004م،ص42).

رحلته العلمية: قرأ على جده الكتب البدائية ثم انتقل إلى العالم العارف الزاهد شيخ جلال القرداغي وقرأ عليه منظومة الكفاية في معاني الحروف للبيتوشي، ثم توجه إلى منبع العلم والعرفان الشيخ عمر المشهور بابن القرداغي وقرأ لديه أغلب العلوم العقلية والنقلية ثم انتقل إلى أستاذ الكل الملا حسين البيسكندي وقرأ عليه كتاب تقريب المرام وبعضا مهماً من كتاب تحفة المحتاج ثم توجه إلى مدينة كويسنجق وبقي عند الملا محمد جلي زاده المشهور بالملا الكبير سنتين و قرأ عليه بعضا من الكتب الشرعية . (الخال، محمد، ج2،ص 300 -303 ، العنبي، 2024،ص65).

عائلته: تزوج الشيخ الخال بسيدة (حلاوة بنت الشيخ معروف القرداغي) وكان عمره خمس عشرة سنة وأنجبا ستة من الأولاد ابنين وأربع بنات بأسماء (مظهر وخالد وناجية وأختر ونسرين وشيرين). (العنبي،2024، ص51-52).

تلاميذه: رأى الشيخ الخال العديد من الوظائف في حياته مما جعله أن لا يكون لديه طلاب كثيرون؛ لقلة مدة تدريسه بالشكل الرسمي واشتغاله بالقضاء وإحياء تراث علماء الكورد، فمن تلاميذه (ملا مصطفى البارزاني، ملا غفور رضا، ملا محمد الكوردي، ملا عبدالقادر الواعظ، ملا محمد نوري، ملا أحمد البيزويي، الأستاذ نوري فارس حمه خان، ملا سيد أحمد البينجويني، الأستاذ سلام منمي، وغير ذلك). (العنبي، 2024،ص66-73).

وفاته: خدم الشيخ الخال خدمة لائقة للإسلام والمسلمين وأبناء جلدته في حياته، وفي أواخر عمره أصيب بأمراض شتى مثل نحف البدن وضعف العينين والنسيان، وبعد عمر مديد وجهد جهيد مليء بالخير والبركة للإسلام والمسلمين توفي في (15- 7- 1989م) في مدينة السليمانية، من عمر يناهز (85) عاماً، وورِيَ جثمانه في مقبرة سيوان، وشيّع تشييعا جماهريا بحضور العلماء والأدباء والشعراء والمثقفين والمسؤلين ، رحمه الله تعالى و جزاه الله عنا خير الجزاء.(العنبي، 2024، ص45-48).

تأليفاته: لقد ترك لنا الشيخ الخال آثارا كثيرة باللغتين الكوردية والعربية، فمنها: (فەلسەفەی ئاینی ئیسلام، مەولودنامەی کەوسەر یان تاریخی پێغەمبەر، البيتوشي، الشيخ معروف النودهي البرزنجي، موفتی زەهاوی، فەرهەنگی خاڵ، پەندی پێشینان، تەفسیری خاڵ، المؤنثات السماعية، حلقة مفقودة من تأريخ البصرة أو تأريخ الإمارة الأفراسيابية) وغير ذلك. (الخال، 2021، ج6، ص307-312).

تأثره بالعلماء: من قرأ الشيخ الخال من خلال مؤلفاته ومكتوباته أو سيرته التي كتبها بنفسه يظهر له أنه تأثر بجملة من العلماء في الداخل والخارج، انطلاقا من جده الشيخ أمين الخال والشيخ ابن القرداغي و (مەلای گەورە) في كويه، ثم السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا وسيد قطب وسعيد النورسي وغيرهم، يقول الشيخ الخال رحمه الله (قد وجدت هدفي و مرادي في هذه الكتب، واستفدت من مدارستها وقراءتها استفادة لا يستطيع القلم بيانها، واكتسبت منها رؤيا جديدة، وانتقلت من حال إلى حال أخرى) (الخال، 2024،ج6،ص305) وذكر الدكتور محسن عبدالحميد بأنه قال له الشيخ الخال: يا ابني محسن لقد اطلعت على تفسير في ظلال القرآن واستفدت منه، ولاأدري كيف كنت أجيب ربي يوم القيامة إن سألني: يا محمد كيف تفسر كتابي ولم تقرأ في ظلال القرآن.(صفحات من حياتي،2023، ص14)

ثانيا: التعريف بكتاب (المؤنثات السماعية):

أولاً: اسم الكتاب ونسبته إليه: اسم هذا الكتاب هو المؤنثات السماعية، و يدل عليه وعلى نسبته إلى الشيخ الخال تصريحه في مقدمته باسمه(الخال،2024،ج8،ص461) وذكره له في ترجمة حياته من ضمن مؤلفاته(الخال،2024،ج6، ص310) وطباعته وانتشاره في حياته، وأيضاً كلُ من كتب على الشيخ الخال أو جانبا من جهوده نسبه إليه بهذا الاسم، ولم يرد ما يومئ إلى نسبته لشخص آخر.

ثانيا: سبب تأليف الكتاب: كل ما أريدت كتابته من قبل العلماء له سبب حامل عليها إن لم تكن أسباباً، وسبب تأليف الشيخ الخال لهذا الكتاب هو ما ذكره بنفسه حيث قال ما معناه: كانت المؤنثات السماعية مشتتة مبعثرة متناثرة من هنا وهناك، ومن زاوية المكتبات والمنظومات العلمية.(الخال، 2024،ج6، ص310) فرأيت من الأفيد بل من الألزم جمعها و ترتيبها على حروف الهجاء وشرحها والتعليق عليها عند الحاجة بما يميط اللثام ...الخ (الخال، 2024، ج8، ص464).

المطلب الثاني: بيان منهجهما ومصادرهما:

الفرع الأول: منهج ابن الحاجب في نظمه، ومصادره

كما هو معلوم أن النظم طبيعته هو الاختصار والتقليل من اللفظ والتصريح بغية الحفظ والاستحضار عند الحاجة، لذا قلما نجد في المنظومات ذكر المصادر حتى أعلام ذي الرأي المستشد بهم، ولايعيب هذا أي نظم لأن الغرض الأساسي من النظم هو حشو المعاني في ألفاظ قليلة وليس العكس، ولكن علما كابن الحاجب لايتصور منه القول ارتجالا في العلوم سيما قضايا اللغة المبنية على النقل.

فالشيخ اعتمد بلا شك على أمات كتب اللغة والمعاجم التي كانت متوفرة في زمانه بصورة عامة وما كتب فيها بصورة أخص في الباب أي المؤنثات السماعية مثل كتب ابن جني والنطنزي وهذا مما لاشك فيه إذ أشار في النظم إلى وقوع الخلاف في بعض الكلمات وإن لم يصرح بأصحابه. وبصورة موجزة أشرنا إلى بعض معالم النظم في الفرع الأول من المبحث الأول، ولكن هنا قد نغاير في التصوير:

فالنظم إجمالا على قسمين:

- المؤنثات السماعية واجبة التأنيث: وعدد ألفاظها ستون كلمة وهي: (العين - الأذن - النفس - الدار - الدلو - السن - الكتف - جهنم -السعير - العقرب - الأرض - الأست - العضد - الجحيم - النار - العصا -الريح - اللظى - اليد - الغول - الفردوس - الفلك - عروض الشعر - الذراع -الثعلب- الملح - الفأس - الورك - القوس - المنجنيق - الأرنب - الخمر -البئر - الفخذ - الذهب - الفهر - الضرب – عين- الينبوع - درع الحديد -القدم - الكبد - الكرش - سقر - الحرب - النعل - الفرس - الكأس -الأفعى - الشمس - العقب - العنكبوت - الموس - اليمين - اصبع الإنسان -الرجل - السراويل - الشمال - الضبع - الكف - الساق).
- المؤنثات السماعية التي يجوز فيها التذكير ولكن تأنيثها أكثر وعددها سبع عشرة كلمة: (السُّلَّم- السِّلْم-المسك-القدر-الحال-الليت-الطريق-السرى-العنق-اللسان-السبيل-الضحى-السلاح-الفقا-الرحم-السكين-السلطان).

وأما على التفصيل فبحسب مايترتب على المنهج المقارن والمقارنة بين النظم وغيره فيما كتب في الباب تكثر الأقسام، والذي يهمنا في هذا المقام المقارنة بين عمل الشيخ ابن الحاجب والشيخ الخال، ونظرا لمحدودية المقام نذكر بعض الأقسام التي هي العمدة في المبحث الثاني إن شاء الله تعالى.

الفرع الثاني: منهج الشيخ الخال ومصادره في كتابه.

الشيخ ـ رحمه الله ـ تميز كتاباته باتباع منهج علمي مع أسلوب راق مسجوع في بعض أحيان، وأما بحثه الذي بين أيدينا في المؤنثات السماعية يدل على سعة اطلاع الشيخ على كتب اللغة والدواوين الشعرية والقصائد العذبة السامية، والتحقيقات التي قام بها الشيخ في هذا المجال فغاية في النفاسة، وأبدع الشيخ كعادته بالإشارة والإشادة والتعريف بعلماء الكرد من خلال أشعارهم سيما البيتوشي.

فالشيخ ذكر منهجه مجملا في كتابه بأسطر إذ يقول بعد أن ذكر كتب الباب (خال، محمد، 2021، ج8 ص464) " فرأيت من الأفيد بل من الألزم جمعها وترتيبها على حروف الهجاء وشرحها والتعليق عليها عند الحاجة بما يميط اللثام، ثم الاستشهاد بآية قرآنية أو حديث نبوي أو شعر أو مثل عربي على كل ما ورد فيه شيء من هذه الدلائل أو الشهادات قدر المستطاع، مع بيان اختلاف العلماء وآرائهم فيها".

وأشار من خلال عرضه كي لايتوهم القارئ في وجه الخلاف بشرحه لمفهوم المؤنثات السماعية (خال، محمد، 2021، ج8 ص462) "والمؤنث السماعي على ضربين ما يكون واجب التأنيث، وما يكون جائز التذكير والتأنيث" فالشيخ كأنه ذكر عدة أشياء تلميحا في هذا السطر:

وذلك أن الكلمة التي يذكره ثم يعقبها بأن في كذا وكذا مؤنث وعند كذا وكذا يذكر أن عند الفريق الآخر أن اللفظ يذكر ويؤنث وليس أنه مذكر، بمعنى أن الخلاف يكون في زيادة التذكير على التأنيث لا أنه مذكر فقط، وإذا كان الرجحان بأحد الجانبين أشار إليه؛ فعلم من هذا أن المراد بـــ ويذكر هو المعنى الزائد على التأنيث لا سلبه.

فمن خلال هذا العرض يتبين أن الشيخ اعتمد على ثلاثة مناهج:

- المنهج الاستقرائي: استعمل الشيخ هذا المنهج في البحث والتفتيش للكتب المختصة بجمع المادة العلمية أو أعم من مادة الباب مثل كتب اللغة وغريبها والمعاجم والقواميس والنحو والبلاغة.
- المنهج المقارن: استعمل الشيخ هذا المنهج بل إذا قلنا أن الشيخ بنى كتابه على هذا المنهج لم يكن إفراطا، لأن أسلوب الشيخ الذكر في كل مادة أو أكثرها المصادر التي ترجح التأنيث فقط ومصادر في جواز التذكير.
- المنهج التحليلي: استعمل الشيخ هذا المنهج في تفكيك المادة العلمية بالنقد والتوضيح والتعقب والتعقيب على من سبقوه وبيان الراجح والمرجوح والأقوى والأولى.

اعتمد الشيخ على المنهج الأول في الإحاطة والجمع قدر المستطاع للمادة العلمية، والثاني والثالث في المقارنة والموازنة والتفكيك للمادة العلمية.

فالناظر لهذا الكتاب فكأنه أمام موسوعة مختصرة جامعة لموضوع المؤنثات السماعية حيث يرى حسن ترتيب المادة على حروف الهجاء، ثم الشرح والتعليق في بعض المواطن يدل على ظهور شخصية الشيخ؛ فالشيخ ليس مجرد جامع أو ناقل سطحي، بل يظهر شخصيته بقوة في ثنايا الكتاب.

ثم مما يلوح للقارئ أن الشيخ في بعض المواطن قد يشير إلى مايتحسنه ويظهر إليه من رأي أنه في بعض المواد يذكر آية قرآنية أوحديثا أو شعرا مما يميل إليه، فعلى سبيل المثال لاالحصر (خال، محمد، 2021، ج8 ص465)): "

- (الإبل) بكسرتين الجمل، في القاموس واحد يقع على الجمع ليس بجمع ولا اسم جمع ، والجمع آبال، في الدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة، وفي التنزيل: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: 17]."
- (خال، محمد، 2021، ج8 ص479))"(الذود): قطعة إبل بين الثلاث إلى العشر لا واحد لها من لفظها، في المخصص والدستور والقاموس ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة، وتصغيرها ذويد بغير ماء، وفي الحديث الشريف: (وَلَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسِ ذَوْدٍ صَدَقَةٌ)، والجمع أذواد."
- (خال، محمد، 2021، ج8 ص473-474) "(الحرب): المقاتلة والمنازلة في المخصص وأدب الكاتب والدستور والمزهر ومنظومة البيتوشي وابن الحاجب مؤنثة، يقال في تصغيرها حريب بغير هاء، وفي المنجد وجامع الشواهد. و... يذكر، وفي التنزيل: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَآ﴾ [محمد: 4] . وقال الشاعر:

وَحَرْبٍ عَوَانٍ بِهَا نَاحِسٌ مَرَيْتُ بِرُمْحِي فَذَرْتُ عِسَاسَا

والجمع حروب."

فإذا نظرنا إلى هذه الأمثلة نرى أن الشيخ عندما يميل إلى رأي قد لايصرح برأيه بل ينصب قرينة أو إشارة إلى ماظهر عنده وقوي.

بخلاف ما إذا تساوى عنده الاحتمالان، أو قد يصرح ثم يذكر مستنده، فمن أمثلتهما:

- (خال، محمد، 2021، ج8 ص477-478) "(الدلو): كفلس، ما يستقي به في الدستور ومنظومة البيتوشي وابن الحاجب مؤنثة، وفي المخصص وأدب الكاتب والقاموس والمزهر والمنجد وجامع الشواهد و.....يذكر، قال الشاعر في التأنيث:

لا تملأ الدلو وعرق فيها .....

وقال أيضاً في التذكير:

يَمْشِي بِدَلْوٍ مُكْرَبِ العَرَاقِي .....

والدول لغة في الدلو، والقول فيها كالقول في الدلو."
- (خال، محمد، 2021، ج8 ص490) "(الشجر): ما قام على ساق، قال الملا محمد الشهير بابن الحاج أنها مؤنثة. أقول: أن عبارة القاموس في شرح الهدب) حيث يقول: "وهَدِبَ الشَّجَرُ، كَفَرِح، طال أغصانها"، تؤيد التذكير والتأنيث على السواء، والجمع أشجار وشجراء، وفي التنزيل: ﴿لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ٥٢ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾ [الواقعة: 52-53]"

فإذا نظرنا إلى هذين المثالين يقوى ماذهبنا إليه آنفا من أن الشيخ قد ينبه إلى مايذهب إليه بالإشارة دون العبارة كما دللنا عليه بالأمثلة.

وأما مصادر الشيخ في كتابه

فالشيخ ذكر في مقدمة كتابه بعضا من مصادره التي اعتمد عليها بقوله: (خال، محمد، 2021، ج8 ص462-464) " فأول من جمعها ابن قتيبة في (أدب الكاتب). ثم إبن سيدة في (المخصص)، ثم بديع الزمان النطنزي في (دستور اللغة»، ثم ابن الحاجب و «ابن مالک في منظومتهما المخصوصتين بالمؤثثات السماعية، ثم صاحب (مختصر العين)، ثم جلال الدين السيوطي في (المزهر)، وأخيراً الشيخ عبد الله البيتوشي في منظومته، والملا محمد باقر الشريف في أواخر (جامع الشواهد)، غير أن كل واحد منها لم يذكر في الكتب والمنظومات السالفة الذكر، بل ذكرها الملا محمد الشهير بابن الحاج أستاذ الشيخ عبد الله البيتوشي رحمهما الله، في بعض تعليقاته".

فهنا يتوهم الناظر من عبارة الشيخ عقب ذكر ما تفضل به ابن الحاج (خال، محمد، 2021، ج8 ص464) " فرأيت من الأفيد بل من الألزم جمعها وترتيبها على حروف الهجاء، وشرحها والتعليق عليها عند الحاجة بما يميط اللثام" أن الشيخ قام بجمع تعليقات وترتيب تعليقات الشيخ ابن الحاج، ثم الشرح والتعليق عند الحاجة فقط لاغير!، وهذا مما يأباه قول عبارة الشيخ وعمله.

أما عبارته: (خال، محمد، 2021، ج8 ص464) "فهاك رسالة جامعة مصححة منقحة بقدر الإمكان" فلو كان عمل الشيخ مجرد الجمع والترتيب والشرح والتعليق على تعليقات ابن الحاج فما كان له أن يسمى ما قام به بـــ " رسالة جامعة مصححة منقحة بقدر الإمكان " ثم كيف للشيخ أن ينقح ويصحح عمل الشيخ ابن الحاج ولايكون تأليفا له! هذا إذا سلمنا أن الشيخ الخال لم يدر رحاه إلا على عمل الشيخ ابن الحاج، هذا مع أن الشيخ الخال أقل ماكان يشير الشيخ ابن الحاج في ذكر خلافات الألفاظ.

- وأما عمل الشيخ فهذا مصداقه يراه القارئ فيما سبق نقل اعتراض الشيخ الخال على الشيخ ابن الحاج بقوله: (خال، محمد، 2021، ج8 ص490) "(الشجر): ما قام على ساق، قال الملا محمد الشهير بابن الحاج أنها مؤنثة. أقول: أن عبارة القاموس في شرح الهدب) حيث يقول: "وهَدِبَ الشَّجَرُ، كَفَرِح، طال أغصانها"، تؤيد تذكير والتأنيث على السواء، والجمع أشجار وشجراء، وفي التنزيل: ﴿لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ٥٢ فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ﴾ [الواقعة: 52-53]" فلو كان مجرد جمع أو مقارنة لذكر في أكثر المقارنات الشيخ ابن الحاج، هذا وأن الشيخ اعتمد مصدرا مثل قاموس المنجد الذي طبع سنة 1908م/ 1325–1326 ه وابن الحاج توفي 1196ه! وكيف يذكر المنجد كثيرا في حين أن صاحبه لم يكن كتب له الوجود في عصر ابن الحاج!.
فيرجع الاحتمال إلى أن مراد الشيخ بعبارته المؤنثات السماعية لأنه سبق وأن الشيخ استعمل نفس الأسلوب باستعمال ضمير مؤنث بعد الفصل بلفظ مذكر بقوله (خال، محمد، 2021، ج8 ص490) "والمؤنث السماعي على ضربين: ما يكون واجب التأنيث، وما يكون جائز التذكير والتأنيث، وهي بقسميها كثيرة، لم تدخل تحت الضوابط، لذا حاول كثير من العلماء جمعها والإحاطة بها منذ أكثر من ألف سنة، فأول من جمعها ...." ويرجع الأمر إلى تحقيق مراد الشيخ: ... "غير أن كل واحد منها لم يذكر في الكتب والمنظومات السالفة الذكر بل ذكرها ...." أن الشيخ لعله اختصر عبارة كتابه فأما في النشرة الأولى سنة 1966م هكذا وردت بعد ذكر الكتب: (مقدمة المؤنثات السماعية: محمد الخال، المجمع العلمي العراقي، عدد: 13، 1966، ص 312) .... "غير أن كل واحد منهم ذكر منها جانبا وأهمل جانبا كبيرا، على أني عثرت على أعداد أخرى منها لم يذكر في الكتب والمنظومات السالفة الذكر بل ذكرها الملا محمد الشهير بابن الحاج " فبهذا التصريح ينكشف الإشكال الذي قد يتوهم بسبب اختصار عبارة الشيخ في الطبعة الجديدة.

وأما مصادر الشيخ فذكر بعضها في المقدمة وبعضا آخر في ثنايا الكتاب، فأما التي في المقدمة فتقدم آنفا، وأما التي في ثنايا الكتاب فهي كالآتي:

أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله الزمخشري، والشيخ -رحمه الله- قال: " ويقول الزمخشري في أسرار البلاغة: أي وهو كثير الخصومات ..." فتوهم في اسم الكتاب والنص موجود في أساس البلاغة وأسرار البلاغة لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني.

تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي.

التكملة: أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار النحوي الفارسي.

جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي.

الكتاب: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، الملقب سيبويه.

كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الفاظ لابن السكيت: أبو زكريا يحيى بن علي بن الخطيب التبريزي.

مختصر العين: أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الإشبيلي.

المزهر في اللغة: أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري.

المقصور والممدود: أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي.

المنجد: لويس بن نقولا ضاهر المعلوف اليسوعي.

المبحث الثاني: مقارنة وتحليل الألفاظ التي تفرد بها أو اتفق عليها أو اختلف فيها كل من الشيخين:

المطلب الأول: الألفاظ التي تفرد بها كل من الشيخين.

تفرد ابن الحاجب من بين العلماء بحكمه على لفظين بالتأنيث وهما: (الأست، السعير):

- وأما بالنسبة للكلمة الأولى فكما ذكر الشيخ الخال وافق ابن الحاجب النطنزي والبيتوشي، وصاحب جامع الشواهد.

- وأما الثاني فوافق ابن الحاجب النطنزي والبيتوشي، وجامع الشواهد كما ذكره الخال. وإذا أنعمنا وأمعننا النظر كما سبق أن تقرر في منهج الشيخ في الاختيار، الشيخ خال وافق ابن الحاجب في التأنيث حين استدل له بقول الله تعالى: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ﴾ [الأحزاب: 64-65]، ومن هذا المنطلق يظهر لنا أن الشيخ له استقلالية في الشخصية العلمية وموضوعية تامة في حين أنه لم يصرح ولم يشر إلى اختياره في كلمة (الأست) بل ذكر فقط الكتب التي وافق ابن الحاجب دون تعقيب (الخال، 2021م،ج8، ص467).

والشيخ خالف ابن الحاجب في ترجيحه فمثلا في كلمة (السُلَّم) الذي اختار فيها ابن الحاجب التأنيث، فالشيخ ذهب إلى رجحان التذكير بقوله: "... والتذكير أكثر كما في التنزيل ﴿أَمۡ لَهُمۡ سُلَّمٞ يَسۡتَمِعُونَ فِيهِۚ﴾ [الطور: 38] " وأشار على وجه ضعف إلى التأنيث بقوله " وقال الشاعر في التأنيث ..." (الخال، 2021م،ج8، ص489).

ثم الألفاظ التي أهمل أو لم يذكرها ابن الحاجب وذكرها الشيخ الخال فهي تسع وأربعون كلمة وهي كالآتي: (الأروية -الآل- أجا - الإبل - الأضحى -البنصر- الباع - شمام- الجراد - الجزور- حضار- الحضاجر- الحرور- الحانوت-الخنصر- - ذكاء -الذنوب-الذود -الرحى- السماء -سقط النار- السوق-السموم-شعوب- الصاع- الصعود- صبوب- الضلع – الضائن- الطاغوت- الطوي - الطير-الطست- العقاب- العاتق- عقار- عير-العرس- العوا-العجز- العشاء- العنز- الغنم -الفرسن- القلت -القدوم -القدام- القليب - الكراع - الكؤود- الكحل- اللبوس - المنون -النوى- الهبوط- هدى - الوراء- اليسار).

المطلب الثاني: الألفاظ التي اختلفا فيها:

قد سبق أن كتاب المؤنثات السماعية للشيخ الخال كتاب مقارن ومقتبس من الكتب اللغوية المتداولة والمعروفة والموجودة لديه آنذك، وقد أشار إلى هذه المصادر وبيان الاختلاف بينها حين التعرض لمفردة من المفردات المبثوثة في كتابه، غير أن منظومة ابن الحاجب موجزة اكتفى فيها بعدّ بعض من المفردات السماعية –لا كلها- والتي قسمها إلى قسمين، قسم واجب التأنيث وقسم يجوز فيه التذكير والتأنيث، وبعد استقراء تام و مقارنة ما في منظومة ابن الحاجب بما في كتاب الشيخ الخال ظهر أن:

1- كل ما أورده الشيخ الخال ذكر فيه الاختلاف بين علماء اللغة ولم يرجح صريحا، قلما تجد في مفردة لم يذكر الاختلاف في تذكيرها وتأنيثها، في حين أن ابن الحاجب ذهب في قسم من كتابه إلى وجوب تأنيث بعض من المفردات بحسب معتقده، وفي قسم آخر ذهب إلى جواز التذكير والتأنيث لبعض آخر.

2- لم يتطرق ابن الحاجب إلى إيراد الأدلة لما ذهب إليه، بخلاف الشيخ الخال فإنه يكثر إيراد الأدلة للأقوال وربما يورد أدلة تدل على ترجيحه ضمنا لرأي من الآراء.

3- بعد دراسة ومقارنة تامة بين المفردات المؤنثة الموجودة في منظومة ابن الحاجب وكتاب الشيخ الخال لا تجد مفردة قال بها ابن الحاجب بالتأنيث والشيخ الخال بالتذكير و بالعكس بل كل ما أورده ابن الحاجب مؤنثا أورده الخال مؤنثا أيضاً مع الإشارة إلى تذكيره عند بعض العلماء ولكن الشيخ الخال يرجح ترجيحا ضمنيا في مفردتين، وبذلك يعتبر مخالفا لابن الحاجب، وهما:

1- السُّلَم: فابن الحاجب ذكره من المفردات الجائز التذكير والتأنيث (ابن الحاجب،1985م، ص112)، وأما الشيخ الخال فذكر أنه يذكر و يؤنث وكونه مذكرا كثير، واستدل له بقوله تعالى﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ [الطور: 38] مما يدل على ترجيحه على كثرة استعماله مذكرا. (الخال،2021م،ج8،ص489).

2- الحال: أوردها ابن الحاجب في المفردات الجائز التذكير والتأنيث (ابن الحاجب،1985م، ص112)، وأما الشيخ الخال ذهب إلى أن تذكيرها قليل، ومثل لها مما يدل على ترجيحه على كونها مؤنثة (الخال، 2021م،ج8، ص473).

الخاتمة

بعد البحث والنهل من ينابيع علوم الشيخين وصلنا إلى هذه النتائج:

- كتاب الشيخ محمد الخال لاشك في أهميته وأنه من تأليف نفسه لاغيره كما يوهمه المقدمة الجديدة المختصرة من كتابه.
- الشيخ محمد الخال تأثر بالأعلام المعاصرين أو من هو قريب عهده من الشيخ من المفكرين والمثقفين.
- سعة اطلا الشيخ ومقارنته بين الكتب والمعاجم المتوفرة في عصره في استخراجه للمادة العلمية ومدى دقته يثبت أنه باحث من الطراز الرفيع ولا يكتفي بما قام به غيره فقط؛ بل يتثبت ويستوثق بنفسه.
- للشيخ منهج خاص استعمله في الترجيح يظهر ذلك في المتتبع للمادة العلمية وأسلوب دقيق جدا في خدمة اللغة.
- الشيخ لم يكن مقلدا لآراء السابقين بل هو ناقد أيضا إذا لاح له ضعف الراي ووهنه.
- كتاب الشيخ له مزية على نظم ابن الحاجب حيث احتوى على مفردات أكثر وتعقبات على أعمال السابقين مع وفرة الاستشهاد بالقرآن والحديث والأشعار سواء من شعراء العرب أو الكرد.

المصادر والمراجع

- تاريخ الأدب العربيGeschichte der arabischen Litteratur : كارل بروكلمانCarl Brockelmann، ترجمة: عبد الحليم نجار، دار المعارف، ط. 3، د.ت.
- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات: الميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري الإصبهاني، تحقيق: أسد الله إسماعيليان، مكتبة إسماعيليان، طهران، ط1، 2011م.
- سير أعلام النبلاء: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: حسين أسد وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط. 3، ١٩٨٥ م.
- الشيخ محمد الخال، جهوده العلمية والفكرية والدعوية، نصرالدين توفيق العنبي، مكتب التفسير-أربيل، الطبعة الأولى، 2024م.
- صفحات من حياتي سيرة وشهادة، د.محسن عبدالحميد، مكتب التفسير، أربيل، الطبعة الثانية، 2023م.
- القصيدة الموشحة بالأسماء السماعية المؤنثة، ابن الحاجب، تحقيق وشرح: د.طارق نجم عبدالله ،مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن، الطبعة الأولى، 1985م.
- مسيرة حياة الشيخ محمد الخال المطبوع ضمن الأعمال الكاملة، الشيخ محمد الخال، ترجمة و تحقيق: د. ئاراس محمد صالح، الطبعة الأولى، 2021م.
- المؤنثات السماعية المطبوع ضمن الأعمال الكاملة، الشيخ محمد الخال، مركز الخال الفكري والثقافي، الطبعة الأولى ، 2021م.
- مقدمة المؤنثات السماعية: محمد الخال، المجمع العلمي العراقي، عدد: 13، 1966.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، المحقق: إحسان عباس، د.ط، دار صادر – بيروت، د.ت.